بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٣٥)

فتح ذى الجلال بأهمية وثمار المحافظة على الأعمال

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس كنا قد تكلمنا في الخطبة الماضية عن الحكمة العظيمة والغاية السامية

الكريمة التي من أجلها خلق ربنا سبحانه وتعالى الخليقة ألا وهي عبادته سبحانه وتعالى .

وبينا أن هذه العبادة التي يريدها الله منهم هي عبادة دائمة مستمرة لا تنقطع مادامت أرواحهم في أبدانهم كما قال الله تعالى لقدوتهم وأسوتهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩٩

قال ابن عمر رضي الله عنه { ٱلْيَقِينُ } : الموت.

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمر ربه،فلم يزل دائبا في العبادةحتى أتاه اليقين من ربه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليما كثيرا .ا.هـ(١)

وفي الزهد لابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحسن قال : : أَيْ قَوْمِ ، الْمُدَاوَمَةَ الْمُدَاوَمَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجَلاً دُونَ الْمَوْتِ . (٢)

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف بل عليه في البرزخ عبودية أخرى لما يسأله الملكان من كان يعبد وما يقول في رسول الله ويلتمسان منه الجواب وعليه عبودية أخرى يوم القيامة يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود فيسجد المؤمنون ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون السجود فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحا مقرونا بأنفاسهم لا يجدون له تعبا ولا نصبا ومن زعم أنه يصل إلى مقام

(١) . «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٣٥):

(٢) . «الزهد والرقائق – ابن المبارك – ت الأعظمي» (ص٧)

يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والإنسلاخ من دينه بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه ولهذا كان الواجب على رسول الله بل على جميع الرسل أعظم من الواجب على أممهم والواجب على أولى العزم أعظم من الواجب على من دونهم والواجب على أُولى العلم أعظم من الواجب على من دونهم وكل أحد بحسب مرتبته .ا. هـ [(١)]

وقال الله عن عيسى بن مريم عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١]

فأوصاه بإقامة شرائع الدين وأعظمها الصلاة والزكاة مادام حيا أي مدة حياته.

والله جل وعلا ما شرع العبادة على عباده في وقت دون وقت وزمن دون زمن بل أراد منهم سبحانه أن يعبدوه ويطيعوه في كل وقت وحين بل لا ينفك العبد من عبوديته لربه لحظة واحدة بل ولا طرفة عين حتى يلقى ربه سبحانه وتعالى قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣]

بل ورغب جل وعلا أن يُتفرغ لذلك فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال :"إن الله جل وعلا يقول :" يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ

(١) . «مدارج السالكين» (١/ ١٢٥ ط الكتاب العربي)

صدرك غنى وأَسُدُّ فقرك وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أَسُدَّ فقرك" أخرجه أحمد والحاكم وصححه الألباني والوادعي رحمهم الله .(١)

وقال الله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران:٢٠٠]

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال الحسن: اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة الله.ا.هـ(٢)

وقد نهى الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يطيع عدوه في ترك المداومة على الأعمال الصالحة فقال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾ إلى قوله تعالى ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق:١٩]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله.ا.هـ (٣)

ولذلك كان من حرص الشريعة على استمرار العبد في عبادته لربه وعدم انقطاعه عنها أنه شرع للعبد قضاء ما يفوته من العبادات المؤقتة بخلاف العبادات المقيدة بسبب فإنه إذا ذهب سببها ذهب وقتها ، ولذلك كان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ

(١) . صحيح.أحمد [٨٦٩٦] الصحيح المسند [١١٢٧]السلسلة الصحيحة[١٣٥٩]

(٢) . «تفسير البغوي – طيبة» (٢/ ١٥٦)

(٣) . «تفسيره لسورة[العلق آية:١٩]

كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه "كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة" رواه مسلم .[١]

بل ورغب عليه الصلاة والسلام أمته إلى ذلك فقال "من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب الله له كأنما قرأه من الليل " أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]

وفي هذا ترغيب عظيم لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالمحافظة على الأعمال وعدم تركها.

بل لما ترك الاعتكاف في رمضان لأمرٍ ما قضاه في شوال[٣] ، ولما شغل عن الركعتين اللتين بعد الظهر قضاهن بعد العصر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.[٤]

ليس ذلك فحسب بل كان من هديه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه " إذا عمل عملا أثبته"[٥]

كما ذكرت ذلك أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقالت " وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبتوه"[٦]

---

(١) . " بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ "برقم [٧٤٦]

(٢) .الباب السابق برقم [٧٤٧]

(٣) .البخاري برقم [١٩٣٦] مسلم برقم [١١٧٣]

(٤) . البخاري برقم [٥٦٥] مسلم برقم [٨٣٣]

(٥) . "بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ" برقم [٧٤٦]

(٦) . « بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ"برقم [٧٨٢]

وكانت إذا عملت العمل لزمته. وفي لفظ "كان عمله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ دِيمه"[١] وفي لفظ " كان نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها"[٢]

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ : قولها " وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبتوه" يحتمل المراد به من يختص به من فضلاء أصحابه وأتباعه وقد يراد به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ نفسه ، ويدل عليه قوله في الحديث الآخر "وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إذا صلى صلاة أثبتها" وقولها :"كان عمله ديمة" أي دائم غير منقطع ومنه سمي المطر المتوالي ديمة ،يعنى أن ما عَمِل من خير لم يَكن يقطعه ، ويتركه بل يداومُ عليه.ا.هـ[٣]

والله جل وعلا قد حرم على العبد أن يبطل عمله الصالح بالمعاصي والسيئات فقال سبحانه ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣]

قال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ : أي حسناتكم بالمعاصي.ا.هـ[٤]

وقد أنكر عليه الصلاة والسلام على من ترك العمل بعد الإقبال عليه فعَن عبد الله ابن عَمْرو بن الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَاقَالَ : قَالَ لي رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ : " يَا عبد الله

---

(١) .البخاري برقم [١٩٨٧] مسلم برقم [٧٨٣]

(٢) ."بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ" برقم [٧٤٦]

(٣) . «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٣/ ١٤٨)

(٤) . «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٥٤)

، لَا تكن مثل فلَان كَانَ يقوم اللَّيْل فَترك قيام اللَّيْل" هذا لفظ البُخَارِيّ ، وَهُوَ مُتَّفق عَلَيْهِ .(١)

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ :قال ابن حبان : فيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبه .ا.هـ(٢)

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : وقد ذم الله تعالى قوما أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها فقال تعالى﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد:٢٧]ا. هـ (٣)

ألا واعلموا عباد الله أن للمداومة على العمل ثمارا حسنة وآثارا كريمة منها:

أنها أحب إلى الله تعالى وعاملها حبيب إليه سبحانه قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢]

قال العلامة ابن سِعدي رحمه الله : أي: من ذنوبهم على الدوام " وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.ا.هـ(٤)

و عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "إنّ الله تعالى قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته

---

(١) . البخاري برقم [١١٠١] مسلم برقم [١١٥٩]

(٢) . «فتح الباري لابن حجر» (٣/ ٣٨)

(٣) . «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٠)

(٤) . «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص١٠٠)

عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصِر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه" البخاري [١]

وتأمل إلى قوله " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل" التي تدل على المواظبة والاستمرار،

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَاقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ "أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها "متفق عليه وهذا لفظ مسلم[٢]

وفي لفظ "يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا و إن أحب الأعمال إلى الله ما دُوْوِم عليه و إن قل "وفي لفظ عند مسلم "أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل"[٣]

قال المُناوي رَحِمَهُٱللَّهُ :أي أكثرها ثوابا أكثرها تتابعا ومواظبة (وإن قلّ) ذلك العمل المداوم عليه لأنّ تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع.ا.هـ [٤]

فمن ثمار المداومة والمحافظة على الأعمال نيل محبة الله تعالى وكفى بها ثمرة.

---

(١) . " باب: التواضع "برقم [٧١٣٧]

(٢) . البخاري برقم [٦٠٩٩] مسلم برقم [٧٨٣]

(٣) . البخاري برقم [١١٥١] مسلم برقم [٧٨٢]

(٤) . «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٨)

ومن ثمارها أيضا : أنها عصمة من الخسارة في الدارين

قال الله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:٣]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : أَقْسَمَ تَعَالَى بذلكعلى أن الْإِنْسَانَ لفي خُسْرٍ، أَيْ: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ.ا.هـ[1]

ومن ثمارها أيضا : أنها سبب للنجاة من الشدائد والكربات قبل وبعد نزولها قال الله تعالى﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق:٣]

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : يُنجِيه مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ.[2]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦١ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزُّمَر:٦٢]

قال العلامة السعدي رحمه الله﴿ بِمَفَازَتِهِمۡ ﴾أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة.ا.هـ[1]

---

(١) . «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (٨/ ٤٨٠)

(٢) . «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (٨/ ١٤٦)

وقال الله عن يونس عليه السلام ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات:١٤٨] قال قتادة رحمه الله : كان يعمل في الرخاء.[٢]

وعن سعيد بن أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : لولا أنه كان له سلف من عبادة وتسبيح تداركه الله به حين أصابه ما أصابه.

وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك رضي الله عنه قال : اذْكروا الله فِي الرخَاء يذكركم فِي الشدَّة فَإِن يُونُس عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ عبدا صَالحا ذَاكِرًا لله فَلَمَّا وَقع فِي بطن الْحُوت قَالَ الله ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ وَإِن فِرْعَوْن كَانَ عبدا طاغيا نَاسِيا لذكر الله فَلَمَّا أدْركهُ الْغَرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس:٩٠]

فَقيل لَهُ ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس:٩١] ا.هـ[٣]

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة".أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني رحمه الله[٤]

---

(١) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢ / ٣٨٣)

(٢) . «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٢٩)

(٣) . «الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي» (٧/ ١٢٦)

(٤) . صحيح.أحمد [٢٨٠٣] «صحيح الجامع الصغير وزيادته» [٢٩٦١]

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُأن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال : "من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء" رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني[١]

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى : الله- سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- برحمته ينجي كل مؤمن في مفازته، وكل متق في مفازته، يعني في موطن يكون فيه هلاكه ولكن الله تعالي ينقذه لما سبق له من التقوي، وشاهد ذلك قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ((تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة)) والله الموفق. ا.هـ [٢]

رزقني الله وإياكم حسن القول والعمل وأكرمنا الهدى والسداد.

(١) . حسن.الترمذي [٣٣٨٢] «الجامع الصغير وزيادته " برقم [١١٢٣٦]

(٢) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢ / ٣٨٣)

الخطبة الثانية

الحمدلله حمدا كثيرا وصلى الله وسلم على خليله وآله وصحبه ومن اتبع هداه وبعد:

أيها الناس ومن ثمرات المداومة على الأعمال أيضا :

أن العبد إن حال بين العمل وفعله حائل كتب له أجر ذلك العمل فعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا "رواه البخاري [(١)]

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : قال المهلب: أصل هذا فى كتاب الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[التين:٤] (إلى) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين:٦]

أي: غير مقطوع، يريد أن لهم أجرهم في حال الكِبَر والضعف عما كانوا يفعلونه في الصحة غير مقطوع لهم؛ فلذلك كل مرض من غير الزمانة وكل آفة من سفر وغيره يمنع من العمل الصالح المعتاد؛ فإن الله قد تفضل بإجراء أجره على من مُنِع ذلك العمل بهذا الحديث.ا.هـ [(٢)]

---

(١) . " باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة" برقم [٢٨٣٤]

(٢) . «شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٥/ ١٥٤)

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا من أكبر مِنن الله على عباده المؤمنين: أن أعمالهم المستمرة المعتادة إذا قطعهم عنها مرض أو سفر كتبت لهم كلها كاملة؛ لأن الله يعلم منهم أنه لولا ذلك المانع لفعلوها، فيعطيهم تعالى بنياتهم مثل أجور العاملين مع أجر المرض الخاص، ومع ما يحصل به من القيام بوظيفة الصبر، أو ما هو أكمل من ذلك من الرضى والشكر، ومن الخضوع لله والانكسار له. ومع ما يفعله المسافر من أعمال ربما لا يفعلها في الحضر: من تعليم، أو نصيحة، أو إرشاد إلى مصلحة دينية أو دنيوية وخصوصاً في الأسفار الخيرية، كالجهاد، والحج والعمرة، ونحوها.

ويدخل في هذا الحديث: أن من فعل العبادة على وجه ناقص وهو يعجز عن فعلها على الوجه الأكمل، فإن الله يكمل له بنيته ما كان يفعله لو قدر عليه؛ فإن العجز عن مكملات العبادات نوع مرض. والله أعلم، ومن كان من نيته عمل خير، ولكنه اشتغل بعمل آخر أفضل منه، ولا يمكنه الجمع بين الأمرين: فهو أولى أن يكتب له ذلك العمل الذي منعه منه عمل أفضل منه، بل لو اشتغل بنظيره. وفضل الله تعالى عظيم .ا.هـ [(١)]

و عبد الله بن عمرو بن العاصي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : " إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلي" . أخرجه أحمد وحسنه العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والألباني . [(٢)]

---

(١) . «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد» (ص٨٣)

(٢) . حسن .احمد [٦٨٩٥] «الصحيح المسند "برقم [٨٠٧] في السلسلة الصحيحة تحت حديث [١٢٣٢]

وفي لفظ صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ " ما من أحد يمرض، إلا كتب له مثل ما كان يعمل، وهو صحيح"

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: " ما من مسلم ابتلاه الله في جسده إلا كتب له ما كان يعمل في صحته، ما كان مريضاً، فإن عافاه- أراه قال: - غسلَه، وإن قبضه غفر له (وفي رواية : فإن شفاه عسلَه)".صحيح[1]

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال "ما من امرءٍ تكون له صلاة بليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة " رواه مالك وأبو داود وصححه الألباني .[2]

ومن ثمراتها أيضا : أنها سبب لحسن الخاتمة فإن من شب على شيء شاب عليه ومن شاب على شيء مات عليه في الغالب قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٢]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا روغان الثعالب.ثم قال بعد أن نقل أقوالا غير هذا : وهذه الأقوال

(١) . «الأدب المفرد - بأحكام الألباني - ت الزهيري» (ص٢٥٥)

(٢) . حسن .مالك برقم [١١٣] صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٤٦)

وإن تداخلت فتلخيصها : اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا ، وداموا على ذلك. ا .هـ [١]

ومن ثمراتها أيضا :

أن ذلك سبب لإظلال الله سبحانه للعبد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" متفق عليه [٢]

فالإمام كان عدله وعمله ذلك دِيمَه ، وشاب نشأ على العبادة والطاعة حتى توفي عليها وهكذا بقية الأصناف السبعة.

ومن ثمراتها أيضاً : أن صاحب ذلك يُنادى من الباب الذي داوم على فعل الطاعة فيه أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة و من كان من أهل

---

(١) . «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣٥٨)

(٢) . البخاري برقم [٦٢٩] مسلم برقم [١٠٣١]

الجهاد دعي من باب الجهاد و من كان من أهل الصيام دعي من باب الريان و من كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة قال أبو بكر : هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم و أرجو أن تكون منهم" . (١)

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه عند أهل العلم من أنفق شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين وكذلك من صلى ركعتين ومشى في سبيل الله خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك كله وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع.ا.هـ(٢)

ومن الثمرات أيضاً :.

أن الشيطان يقل أمله ورغبته في إضلال العبد فكيف لا وقد سد العبد عليه طرقه ومسالكه عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا نَظَرَ إِلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَرَآكَ مُدَاوِمًا فِي طَاعَةِ اللهِ ، فَبَغَاكَ وَبَغَاكَ ، فَرَآكَ مُدَاوِمًا مَلَّكَ وَرَفَضَكَ ، وَإِذَا كُنْتَ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا طَمِعَ فِيكَ ا.هـ(٣)

ومن تتبع آثار السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وجد ذلك دأبهم وتلك طريقتهم رجالا ونساء صغارا وكبارا فهذا بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سأله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وقد سمع خف نعليه في الجنة فأخبره أنه كانت تلك عادته ومداومته على الركعتين فما كان يتركهما قط لا في ليل

(١) . البخاري برقم [١٧٩٨] ومسلم برقم [١٠٢٧]

(٢) . «التمهيد – ابن عبد البر» (٧/ ١٨٥ ط المغربية)

(٣) . «الزهد والرقائق – ابن المبارك – ت الأعظمي» (ص٧)

ولا في نهار فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ-يعني البخاري -: دَفَّ نَعْلَيْكَ، يَعْنِي تَحْرِيكَ. متفق عليه وهذا لفظ البخاري(١)

وتأمل إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصلاتها الضحى ومحافظتها عليها وكانت تصلي الضحى ثماني ركعات ثم تقول : " لَوْ نُشِرَ لِي أَبَوَايَ مَا تركتهَا " رواه مالك وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .(٢)

ولما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا – أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا – فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ"قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فما تركتها بعد ، قيل : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين . البخاري(٣)

وهذا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلي إزار يتقعقع فقال : من هذا ؟ قلت : عبد الله ابن عمر قال : إن كنت عبد الله فارفع

---

(١) . البخاري برقم [١٠٩٨] مسلم برقم [٢٤٥٨]

(٢) .صحيح. مالك [٤٠٥] «مشكاة المصابيح» (١/ ٤١٣)

(٣) . « باب: الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين"برقم [٢٩٤٥]

إزارك فرفعت إزاري إلى نصف الساقين فلم تزل إزرته حتى مات . رواه أحمد وصححه الألباني رحمه الله .[١]

فذاك هدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وهذا هدي أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.

فداوموا ما استطعتم على الخير والأعمال الصالحة بقية عمركم لتفوزا برضى ربكم ،

عَنِ الْحُرَيْثِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُٱللَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنَ الْخَيْرِ فَلاَ تُؤَخِّرْهُ لِغَدٍ ، وَإِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ فَامْكُثْ مَا اسْتَطَعْتَ. ا.هـ[٢]

أسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأقوال والأعمال وأن يتوفانا وهو راض عنا. والحمد لله رب العالمين.

(١) . صحيح .احمد برقم [٦٢٦٣] «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٥٨)

(٢) . «الزهد والرقائق – ابن المبارك – ت الأعظمي» (ص١٢)